تطمين اليه النفوس وتنتشر فيه الهمم ويسكن فيه البري ويانس به الضعيف فليس لخايف راحة ولا لحاذر طمانينة وقد قال بعض الحكما الامن اهنا عيش والعدل اقوى جيش لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التي بها قوام اودهم وانتظام جملتهم ولين كان الامن من نتايج العدل والخوف من نتايج ما ليس بعدل فقد يكون الخوف تارة بمقاصد الادميين الخارجة عن العدل وقد يكون تارة باسباب حادثة عن غير مقاصد الادميين فلا يكون خارجا عن حال العدل فمن اجل ذلك لم يكن ما يستبق من حال العدل مغنيا عن ان يكون الامن في انتظام الدنيا قاعدة كالعدل فاذا كان ذلك كذلك فالامن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم اخرى فتنوعه بان يكون تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال وعمومه ان يستوعب جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن وقد يختلف باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون بحسب اختلاف الرغبة فيما خيف عليه فمن اجل ذلك لم يجز ان يصف حال كل واحد من انواعه بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن لاسيما والخايف على الشي مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره فهو يظن الاخايف الا اياه ذاهل عن قدر النعمة بالامن فيما سواه فصار كالمريض الذي هو بمرضه متشاغل وعما سواه غافل ولعل ما صرف عنه اعظم مما ابتلي به وانما يتوكل بالادنى وان جل ما مضى حكي ان رجلا قال لاعرابي ما اشد وجع الضرس فقال الاعرابي كل داء اشد داء وكذلك من عمه الامن كمن استولت عليه العافية فهو لا يعرف قدر النعمة بعافيته حتى يصاب وقال بعض الحكما انما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها اخذ ذلك ابو تمام الطائي فقال

والحادثات وان اصابك بوسها ... فهو الذي انباك كيف نعيمها

فالاولى بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وامنه وما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه ليستبدل بالشكوى شكرا وبالجزع صبرا فيكون فرحا مسرورا حكي ان يعقوب

قال يوسف

قال ليوسف عليهما السلام حين لقيه اي شي كان خبرك بعدي قال لا تسلني عما فعل بي اخوتي سلني عما صنعه بي ربي وقد قال الشاعر

لا تنس في الصحة ايام السقم ... فان عقبى تارك الحزم الندم

وأما القاعدة الخامسة فهي خصب دار تتسع به الاحوال ويشترك فيه ذوو الاكثار والاقلال فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم وتتسع النفوس في التوسع وتكثر المواساة والتواصل وذلك من اقوى الدواعي لصلاح الدنيا وانتظام احوالها لان الخصب يؤول الى الغنا والغنا يورث الامانة والسخا كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري لا تستقضين الا ذا حسب ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب في مال غيره وقال بعض السلف اني وجدت خير الدنيا والاخرة في خصلتين وشر الدنيا والاخرة في خصلتين فخير الدنيا والاخرة في التقى والغنا وشر الدنيا والاخرة في الفجور والفقر وقال بعض الشعراء

ولم ار بعد الدين خيرا من الغنا ... ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر

وبحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطاوه واكثار الجواد وسخاوه كما قال دعبل

لين كنت لا اولي يدا عند امرة ... فلست بمول نايلا اخر الدهر
واي انا لم يفض عند ملية ... واي بخيل لم ينل ساعة الوفر

واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجدب يحدث من اسباب الفساد ما ضادها وكما ان صلاح الخصب عام فما عم به الصلاح ان وجد وعم به الفساد ان فقد فاحرى ان يكون من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب وخصب في المواد فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتايج الامن المقترن به واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الاهية وهو من نتايج العدل المقترن بها

وأما القاعدة السادسة فهو امل فسيح يبعث على اقتنا ما يقصر العمر عن استيعابه ويحث على انشا ما ليس يومل في درك عمره حياة اربابه ولولا ان الثاني يرتفق بما انشاه الاول حتى يصير به مستغنيا لافتقر اهل كل عصر الى انشا ما

ادى